تطربني السيوف

يفتخر:

[الوافر]

صَحَا مِنْ سُكْرِهِ قَلْبِي وَفَاقَا
وَزَارَ النَّوْمُ أَجْفَانِي اسْتِرَاقَا[١]
وَأَسْعَدَنِي الزَّمَانُ فَصَارَ سَعْدِي
يَشُقُّ الحُجْبَ وَالسَّبْعَ الطِّبَاقَا[٢]
أَنَا العَبْدُ الذي يَلْقَى المَنَايَا
غَدَاةَ الرَّوْعِ لا يَخْشَى المَحَاقَا[٣]
أَكُرُّ عَلَى الفَوَارِسِ يَوْمَ حَرْبٍ
وَلا أَخْشَى المُهَنَّدَةَ الرِّقَاقَا[٤]

(١)، (٢) يبدأ الشاعر قصيدته الفخرية معبّراً عن فرحته بما آل إليه أمره، لقد كان قلبه تشغله هموم وأحلام، وأخيراً فتّح عينيه على واقع جديد، إنها صحوة الوجدان ويقظة الحقيقة، وقد عرف النوم أخيراً ولطالما لم يراود عينيه نوم هادئ جميل، وقد أقلق مضجعه همٌّ كثير، فقد كان نومه للحظات يسترقه عن غفلة الزمن، والآن بدا السعد في حياته يضيء له كوّة أمل جديد، وراحت تلك الكوّة تتّسع شيئاً فشيئاً حتى شملت السموات السبع، وذكر السموات السبع فكرة إسلامية لم يكن عرب الجاهلية على علم بها، ممّا يعني أن القصيدة منحولة.

(٣)، (٤) يفخر الشاعر أنه عبد، وهذا ما يُخالف ما عهدناه عن عنترة فقد ناضل ضدّ هذه المقولة حتى نال حريته، ممّا يعني أن القصيدة منحولة، إنه العبد القادر على مواجهة الموت في ميادين الحروب، وهو لا يخشى الموت والفناء، فهو يهاجم الفرسان، وقد خلا قلبه من خوف السيوف الهندية الرقيقة في الحرب لثقته بفروسيته وشجاعته وقوّته.

وَتُـطْـرِبُـنـي سُـيُـوفُ الـهِـنْـدِ حَـتـى
أهـيـمَ إلـى مَـضَـارِبـهـا اشْـتِـيَـاقـا[١]
وَإنـي أعْـشَـقُ الـسُّـمْـرَ الـعَـوَالـي،
وَغَـيْـرِي يَـعْـشَـقُ الـبِـيـضَ الـرِّشَـاقَـا[٢]
وَكـاسـاتُ الأسِـنّـةِ لـي شَـرَابٌ،
أَلَـذُّ بـهِ اصْـطِـبَـاحـاً وَاغْـتِـبَـاقَـا[٣]
وَأطْـرَافُ الـقَـنَـا الـخَـطّـيّ نَـقْـلـي،
وَرَيـحَـانـي، إذا الـمِـضْـمَـارُ ضَـاقَـا[٤]
جَـزَى الـلَّـهُ الـجَـوَادَ، الـيَـوْمَ، عَـنـي،
بـمَـا يَـجْـزِي بـهِ الـخَـيْـلَ الـعِـتَـاقَـا[٥]

(١) يلذّ للشاعر سماع نشيد مطرب مفرح؛ تلك هي زغردة السيوف الهندية. وعشقه لها فوق كلّ عشق، وشوقه لمضاربها لا يُعادله شوق.

(٢) السمر العوالي: الرماح. البيض: النسوة. الرشاق، الواحدة رشيقة: الخفيفة اللحم اللطيفة. إن الشاعر عاشق على خلاف العشاق الذين يهيمون حبّاً بالبيض من النسوة الرشيقات الفاتنات، الخفيفات الظلّ، فعشقه عشق بطل، عشق الرماح السمراء التي تُوحي بالبطولة الحقيقية.

(٣)، (٤) الاصطباح: شرب الصبوح. الاغتباق: شرب الغبوق، وهو العشي. إن الشاعر ظامئ يعمل على إرواء نفسه ليجد لذّة نفسه، وكؤوسه كؤوس دموية قناتها رماح تشغب في الصباح فترويه الصبوح وتشغب في المساء فترويه الغبوق، وليتم مشهد الشراب له نقل، إنها أسنّة حراب الرماح، فيملي عينيه بذاك المنظر، ويُملي أنفه برائحة الدماء في حال التحم مع الأعداء وضاق مجال الصولان والجولان.

(٥) يدعو الشاعر اللّه تعالى بخير جزاء، فالخيل الكريمة تُجازى، وتلك إسلامية أيضاً لم يعرفها عنترة ممّا يجعل القصيدة منحولة.

شَـقَـقْـتُ بـصَـدْرِهِ مَـوْجَ الـمَـنَـايـا
وَخُـضْـتُ الـنَّـقْـعَ لا أخـشَـى الـلّـحَـاقَـا[١]
ألا يـا عَـبْـلَ لَـوْ أبْـصَـرْتِ فِـعْـلـي،
وَخَـيْـلُ الـمَـوْتِ تَـنْـطَـبِـقُ انْـطِـبَـاقـا[٢]
سَـلـي سَـيْـفـي وَرُمْـحـي عَـنْ قِـتَـالـي،
هُـمَـا فـي الـحَـرْبِ كـانـا لـي رِفَـاقَـا[٣]
سَـقَـيْـتُـهُـمَـا دَمـاً لَـوْ كـانَ يُـسْـقَـى
بـهِ جَـبَـلا تِـهَـامَـةَ مـا أفَـاقَـا[٤]
وَكَـمْ مِـنْ سَـيّـدٍ خَـلّـيْـتُ مُـلْـقًـى
يُـحَـرِّكُ فـي الـدِّمَـا قَـدَمـاً وَسَـاقَـا[٥]!

---

(١) إن هذا الجواد من القوّة بحيث يساعد الشاعر على شقّ موج بحر طام عميق العباب، بصدره القوي، بحر من الدماء تتلاطم أمواجه والجوادُ يُسابق الريح، فيطمئن صاحبه، لن يجاريه فارس.

(٢)، (٣) يُخاطب الشاعر عبلة متمنياً عليها أن تشهد قتاله حيث تتلاحم الفرسان بخيولهم، خيول الموت، وتتلاطم كموج البحر في ظل العاصفة الهوجاء، وإن لم تشهد ذلك فيكفيها أن تسأل سيفه ورمحه عمّا فعله، إنهما رفيقا صدق في الحرب.

(٤) سِقاء السيوف والرماح يجعلهما في غاية القوة، ولكن سقاءهما من دماء الأعداء، ولو أنه سقى جبلي تهامة لبقيا على سكرهما ولم يصحوا منه.

(٥) وكثيراً ما صرع من السادات، فإذا بهم يُعانقون التراب، وهم في النزع الأخير، ولشدّة الألم إذا بهم يحرّكون أقدامهم وسيقانهم.